

سورة المعارج

وهي مَكِّيَّةٌ باتفاق^(١)، وهي أربعٌ وأربعون آية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُمْ دَافِعٌ ﴿٢﴾ مِنْ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَصْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ قرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ: «سال سائل» بغير همزة. الباقيون بالهمز^(٢). فَمَنْ هَمَزَ فهو من السؤال. والباءُ يجوز أن تكونَ زائدة، ويجوز أن تكون بمعنى عن. والسؤال بمعنى الدعاء، أي: دعا داعٍ بعذاب؛ عن ابن عباس^(٣) وغيره. يقال: دعا على فلان بالويل، ودعا عليه بالعذاب. ويقال: دعوتُ زيداً، أي: التمسْتُ إحضاره. أي: التمسْتُ مُلتمسٌ عذاباً للكافرين؛ وهو واقعٌ بهم لا محالة يوم القيامة. وعلى هذا فالباءُ زائدة؛ كقوله تعالى: ﴿تَبَّتْ بِالذُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠]، وقوله: ﴿وَهَزَيْتَ إِلَيْكَ بِمِجْنَعٍ أَلْتَخَلَّةَ﴾ [مريم: ٢٥] فهي تأكيد. أي: سألتُ سائلٌ عذاباً واقعاً^(٤).

﴿لِلْكَافِرِينَ﴾ أي: على الكافرين. وهو النضرُ بن الحارث حيث قال: ﴿اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابَهُ مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْنِتْنَا بِعَذَابٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] فنزل سؤاله، وقُتل يوم بدرٍ صبراً هو وعقبه بن أبي مُعيط؛ لم يُقتل صبراً

(١) المحرر الوجيز ٣٦٤/٥ ، وزاد المسير ٣٥٧/٨ .

(٢) السبعة ص ٦٥٠ ، والتيسير ص ٢١٤ .

(٣) أخرج قول ابن عباس بنحوه الطبريُّ ٢٤٨/٢٣ .

(٤) الكلام بنحوه في الوسيط ٣٥٠/٤ .

غيرُهما؛ قاله ابن عباس ومجاهد^(١).

وقيل: إنَّ السائلَ هنا هو الحارثُ بن النعمانِ الفهريّ. وذلك أنَّه لما بلغه قول النبي ﷺ في عليّ عليه السلام: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْتِي مَوْلَاهُ» ركبَ ناقته، فجاء حتى أناخ راحلته بالأبطح^(٢)، ثم قال: يا محمد، أمرتنا عن الله أنْ نشهد أنْ لا إله إلاَّ الله وأنَّك رسولُ الله، فقبلناه منك، وأنْ نصلِّيَ خمساً، فقبلناه منك، ونزكَّيَ أموالنا، فقبلناه منك، وأنْ نصومَ شهرَ رمضانَ في كلِّ عامٍ، فقبلناه منك، وأنْ نَحُجَّ، فقبلناه منك، ثمَّ لم ترضَ بهذا حتى فَضَّلْتَ ابْنَ عَمِّكَ عَلِيًّا! أفهذا شيءٌ منك أم من الله؟! فقال النبي ﷺ: «والله الذي لا إله إلاَّ هو، ما هو إلاَّ من الله» فوَلَّى الحارثُ وهو يقول: اللهم إنْ كان ما يقول محمدٌ حقًّا، فأمطرْ علينا حجارةً من السماء، أو اتتنا بعذابٍ أليمٍ. فوالله ما وصلَ إلى ناقته حتى رماه الله بحجرٍ، فوقع على دماغه فخرج من دبره فقتله؛ فنزلت: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ الآية^(٣).

وقيل: إنَّ السائلَ هنا أبو جهل، وهو القائلُ لذلك، قاله الربيع. وقيل: إنَّه قولُ جماعةٍ من كفار قريش^(٤). وقيل: هو نوحٌ عليه السلام سأل العذابَ على الكافرين. وقيل: هو رسولُ الله ﷺ أي: دعا عليه الصلاة والسلام بالعقاب، وطلب أنْ

(١) معاني القرآن للفراء ١٨٢/٣ دون نسبة، وأخرجه الحاكم في مستدرکه ٥٠٢/٢ عن سعيد بن جبیر . ونسبه لابن عباس ومجاهد الماوردي في النكت والعيون ٨٩/٦، وابن الجوزي في زاد المسیر ٣٥٧/٨ .

(٢) الأبطح: يضاف إلى مكة وإلى منى، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب . وهو المحصب، وهو خيف بني كنانة . معجم البلدان ٧٤/١ .

(٣) النكارة في الخير ظاهرة، وأخرجه الطبرسي في مجمع البيان ٥٣/٢٩ - ٥٤، وفي إسناده انقطاع، ومن لم نعرفهم، وذكره المناوي في فيض القدير ٣١٨/٦ وعزاه للشعبي؛ قال ابن تيمية في مقدمة أصول التفسير ٧٦: الشعبي في نفسه كان فيه خير ودين، ولكنه كان حاطب ليل، ينقل ما وجد في كتب التفسير من صحيح وضعيف وموضوع. اهـ. وقال الألوسي في روح المعاني ٥٥/٢٩: وأنت تعلم أن ذلك القول منه عليه الصلاة والسلام في أمير المؤمنين كرم الله وجهه كان في غدیر خم وذلك في أواخر سني الهجرة فلا يكون ما نزل مكيًّا على المشهور في تفسيره، وقد سمعت ما قيل في مكة هذه السورة. اهـ.

وقوله ﷺ: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلَيْتِي مَوْلَاهُ» سلف ٣٩٨/١ .

(٤) النكت والعيون ٩٠/٦ .

يُوقِعَهُ اللَّهُ بِالْكَفَّارِ^(١)؛ وهو واقعٌ بهم لا محالة. وامتدَّ الكلامُ إلى قوله تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: لا تستعجل فإنه قريب.

وإذا كانت الباء بمعنى عن - وهو قول قتادة^(٢) - فكأنَّ سائلاً سألَ عن العذاب بمن يقع، أو متى يقع. قال الله تعالى: ﴿فَسْئَلْ بِهِ خَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٩] أي: سل عنه. وقال علقمة^(٣):

فإنَّ تسألونني بالنِّساءِ فإنَّني بصيرٌ بأدواءِ النِّساءِ طيبُ
أي: عن النساء. ويقال: خرجنا نسأل عن فلان وبفلان. فالمعنى: سألوها بمن يقع العذاب ولمن يكون، فقال الله: «لِلْكَافِرِينَ»^(٤).

قال أبو علي وغيره: وإذا كان من السؤال، فأصله أن يتعدى إلى مفعولين، ويجوز الاقتصارُ على أحدهما. وإذا اقتصر على أحدهما جاز أن يتعدى إليه بحرف جرٍّ؛ فيكون التقديرُ: سأل سائلُ النبي ﷺ أو المسلمين بعذابٍ أو عن عذاب^(٥).

ومن قرأ بغير همزٍ فله وجهان: أحدهما: أنه لغةٌ في السؤال، وهي لغةٌ قريش؛ تقول العرب: سال يسال؛ مثل نال ينال وخاف يخاف. والثاني: أن يكون من السيلان؛ ويؤيده قراءةُ ابن عباس «سال سَيْلٌ»^(٦). قال عبد الرحمن بن زيد: سال وإد من أودية جهنم يقال له: سائل^(٧)؛ وهو قول زيد بن ثابت^(٨). قال الثعلبي: والأوَّل

(١) ذكره الزمخشري في الكشاف ١٥٦/٤ بنحوه.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٢٤٩.

(٣) في ديوانه ص ٣٥، وسلف ٢/٢٦١.

(٤) ينظر تفسير الرازي ٣٠/١٢١.

(٥) مشكل إعراب القرآن ٢/٧٥٦.

(٦) الكشاف ٤/١٥٦، وزاد المسير ٨/٣٥٨. وذكرها أيضاً ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٦١.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/٢٤٩ - ٢٥٠، وذكره ابن كثير في تفسيره ٨/٢٢٠، وقال: وهذا القول ضعيف، بعيد عن المراد.

(٨) المحرر الوجيز ٥/٣٦٤، وزاد المسير ٨/٣٥٨.

أحسن؛ كقول الأعشى في تخفيف الهمزة:

سالتاني الطلاق إذ رأتاني قلّ مالي قد جئتماني بنكر^(١)

وفي الصحاح: قال الأخفش: يقال خرجنا نسأل عن فلان وبفلان. وقد تُخَفَّفُ همزته فيقال: سال يسأل. وقال:

ومُرَهَّقٍ سأل إمتاعاً بأُضدِّته لم يَسْتَعِنَ^(٢) وحوامي الموتِ تغشاه^(٣)

المُرَهَّق: الذي أدرك ليقتل. والأُضدَّة بالضم: قميصٌ صغيرٌ يلبسُ تحت الثوب^(٤).

المهدويُّ: من قرأ: «سال»؛ جاز أن يكون خَفَّفَ الهمزة بإبدالها ألفاً، وهو البديل على غير قياس. وجاز أن تكون الألف منقلبة عن واو على لغة من قال: سِلْتُ أسال؛ كخفت أخاف^(٥). النحاس^(٦): حكى سيبويه: سِلْتُ أسال؛ مثل: خِفْتُ أخاف؛ بمعنى سألت. وأنشد^(٧):

سألت هذيل رسول الله فاحشةً ضللت هذيل بما سألت ولم تُصِبِ^(٨)

ويقال: هما يتساولان. المهدويُّ: وجاز أن تكون مبدلةً من ياء، من سال يسيل. ويكون سايل وادياً في جهنم^(٩)؛ فهزمة سايل على القول الأوّل أصليّة، وعلى الثاني

(١) البيت لزيد بن عمرو بن نفيل، وقد سلف ٣٢٦/١٦.

(٢) أي: يخلق عاتته. الصحاح (عون).

(٣) الصحاح (سال). وذكره في اللسان (رهق) وقال: قال ابن بري: أنشده أبو علي الباهلي غيث بن عبد الكريم لبعض العرب يصف رجلاً شريفاً ارتث في بعض المعارك، فسألهم أن يمتعوه بأضدته.

(٤) الصحاح (رهق) (أصد).

(٥) وقاله مكّي في مشكل إعراب القرآن ٧٥٦/٢.

(٦) في إعراب القرآن ٢٧/٥ بنحوه مختصراً.

(٧) في الكتاب ٤٦٨/٣.

(٨) البيت لحسان بن ثابت رضي الله عنه، وهو في ديوانه ص ٣٤، وفيه وفي الكتاب: بما جاءت. بدل: بما سألت.

(٩) سلف قريباً أن هذا القول ضعيف.

بدلٌ من واو، وعلى الثالث بدلٌ من ياء .

القشيريُّ: وسائلٌ مهموز؛ لأنَّه إن كان من سأل بالهمز، فهو مهموز، وإن كان من غير الهمز، كان مهموزاً أيضاً؛ نحو قائلٌ وخائفٌ؛ لأنَّ العينَ اعتلَّ في الفعل واعتلَّ في اسم الفاعل أيضاً. ولم يكن الاعتلالُ بالحذفِ لخوف الالتباس، فكان بالقلب إلى الهمزة، ولك تخفيفُ الهمزة حتى تكون بين بين.

﴿وَأَقْرَبُ﴾ أي: يقع بالكفَّار، بيِّن أنَّه من الله ذي المعارج. وقال الحسن: أنزل الله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ فقال: لمن هو؟ فقال: للكافرين؛ فاللام في الكافرين متعلِّقة بـ«واقع»^(١).

وقال الفراء: التقدير بعذابٍ للكافرين واقع؛ فالواقع من نعتِ العذاب، واللام دخلت للعذاب لا للواقع^(٢). أي: هذا العذابُ للكافرين في الآخرة لا يدفعه عنهم أحد. وقيل: إنَّ اللامَ بمعنى على، والمعنى: واقعٌ على الكافرين. ورُوي أنها في قراءة أبيّ كذلك^(٣). وقيل: بمعنى عن، أي: ليس له دافعٌ عن الكافرين من الله، أي: ذلك العذابُ من الله.

﴿ذِي الْمَعَارِجِ﴾ أي: ذي العلوِّ والدرجات الفواضل والنعم؛ قاله ابن عباس وقتادة^(٤). فالمعارجُ مراتبُ إنعامه على الخلق. وقيل: ذي العظمة والعلاء. وقال مجاهد: هي معارجُ السماء. وقيل: هي معارجُ الملائكة؛ لأنَّ الملائكةَ تعرجُ إلى السماء، فوصفَ نفسه بذلك^(٥).

وقيل: المعارجُ الغرف، أي: إنَّه ذو العُرف، أي: جعل لأوليائه في الجنة غرفاً.

(١) الكلام بنحوه في المحرر الوجيز ٣٦٥/٥ .

(٢) معاني القرآن للفراء ١٨٣/٣ .

(٣) المحرر الوجيز ٣٦٥/٥ .

(٤) أخرج قولهما الطبري ٢٣/٢٥٠ .

(٥) النكت والعيون ٦/٩٠ .

وقرأ عبدُ الله: «ذي المعارج» بالياء^(١). يقال: مَعْرَجٌ وَمِعْرَاجٌ، ومَعَارِجٌ ومَعَارِيجٌ؛ مثل: مَفَاتِحُ^(٢) ومَفَاتِيحُ^(٣). والمعارج: الدرجات؛ ومنه: ﴿وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٣٣].

﴿تَنْزُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ أي: تَصْعَدُ فِي الْمَعَارِجِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَهُمْ. وقرأ ابنُ مسعود وأصحابه، والسُّلَمِيُّ، والكسائي: «يَعْرُجُ» بالياء على إرادة الجمع^(٤)؛ ولقوله: ذَكَّرُوا الْمَلَائِكَةَ وَلَا تُؤْتُوهُمْ^(٥). وقرأ الباقر بالتاء على إرادة الجماعة.

«وَالرُّوحُ»: جبريلُ عليه السلام؛ قاله ابن عباس^(٦). دليله قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ﴾^(٧) [الشعراء: ١٩٣]. وقيل: هُوَ مَلَكٌ آخَرُ عَظِيمُ الْخَلْقَةِ.

وقال أبو صالح: إِنَّهُ خَلَقَ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، كَهَيْئَةِ النَّاسِ، وَلَيْسَ بِالنَّاسِ. وقال قَيْصَةُ بْنُ دُؤَيْبٍ: إِنَّهُ رُوحُ الْمَيِّتِ حِينَ يُقْبَضُ^(٨).

﴿إِلَيْهِ﴾ أي: إِلَى الْمَكَانِ هُوَ مُحَلُّهُمْ، وَهُوَ فِي السَّمَاءِ؛ لِأَنَّهَا مُحَلُّ بَرِّهِ وَكَرَامَتِهِ. وقيل: هُوَ كَقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩]. أي: إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي أَمَرَنِي بِهِ^(٩). وقيل: «إِلَيْهِ» أي: إِلَى عَرْشِهِ^(١٠).

(١) لم تقف عليها .

(٢) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: مَفَاتِحُ .

(٣) الصحاح (عرج) وفيه: معارج ومعاريج جمع معراج، وفيه أيضاً عن الأخفش قوله: إن شئت جعلت الواحد: مِعْرَجٌ وَمِعْرَاجٌ، مثل مِرْقَاةٍ وَمِرْقَاةٍ .

(٤) قراءة الكسائي في السبعة ص ٦٥٠، والتيسير ص ٢١٤، وأخرجها عن ابن مسعود الفراء في معاني القرآن ١٨٤/٣ . وينظر تفسير الطبري ٢٣/٢٥٤ .

(٥) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢/٢١ من قول ابن مسعود، وعزاه لابن المنذر وابن مردويه .

(٦) قوله: قاله ابن عباس . ليس في (ظ) .

(٧) النكت والعيون ٦/٩٠ دون نسبة .

(٨) النكت والعيون ٦/٩٠ .

(٩) الوسيط ٤/٣٥١ .

(١٠) الكشف ٤/١٥٧ .

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال وهبٌ والكلبيُّ ومحمدُ بن إسحاق: أي: عروجُ الملائكة إلى المكان الذي هو محلُّهم، في وقتٍ كان مقداره على غيرهم لو صعد، خمسين ألف سنة^(١). وقال وهبٌ أيضاً: ما بين أسفل الأرض إلى العرش مسيرةُ خمسين ألف سنة؛ وهو قول مجاهد^(٢). وجمع بين هذه الآية وبين قوله: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ في سورة السجدة [الآية: ٥]، فقال: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ من منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق السماوات خمسون ألف سنة. وقوله تعالى في «الم تنزيل»: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] يعني: بذلك نزول الأمر من سماء الدنيا إلى الأرض، ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقدارُ ألف سنة؛ لأنَّ ما بين السماء إلى الأرض مسيرةُ خمس مئة عام^(٣). وعن مجاهد أيضاً والحكم وعكرمة: هو مدَّةُ عمر الدنيا من أوَّل ما خلقت إلى آخر ما بقي، خمسون ألف سنة، لا يدري أحدكم مضى، ولا كم بقي، إلاَّ الله عزَّ وجلَّ^(٤).

وقيل: المرادُ يوم القيامة، أي: مقدار الحُكم فيه لو تولَّاه مخلوقٌ، خمسون ألف سنة، قاله عكرمة أيضاً والكلبيُّ ومحمد بن كعب^(٥). يقول سبحانه وتعالى: وأنا أفرغُ منه في ساعة.

وقال الحسن: هو يوم القيامة، ولكنَّ يومَ القيامة لا نفاذ له. فالمرادُ ذِكْرُ موقفهم

(١) ذكره عن محمد بن إسحاق البغوي ٤/٣٩٢ - ٣٩٣، وذكره عن وهب الرازي ٣٠/١٢٤.

(٢) ذكره عن وهب ابن عطية في المحرر الوجيز ٥/٣٦٥، وذكره عن مجاهد ابن الجوزي في زاد المسير ٧/٣٦٠.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/٢٥٢.

(٤) قول الحكم وعكرمة في المحرر الوجيز ٥/٣٦٥.

(٥) أخرجه الطبري عن عكرمة ٢٣/٢٥٢، وذكره البغوي عن الكلبي ٤/٣٩٣، وعن محمد بن كعب ذكره المارودي في النكت والعيون ٥/٩٠.

للحساب، فهو في خمسين ألف سنة من سني الدنيا، ثم حينئذٍ يستقرُّ أهلُ الدارين في الدارين .

وقال يَمَان: هو يوم القيامة، فيه خمسون موطنًا كلُّ موطن ألف سنة^(١).

وقال ابن عباس: هو يوم القيامة، جعله الله على الكافرين مقدارَ خمسين ألف سنة، ثم يدخلون النَّارَ للاستقرار^(٢).

قلت: وهذا القولُ أحسن ما قيل في الآية إن شاء الله، بدليل ما رواه قاسم بن أَصْبَغٍ من حديث أبي سعيد الخُدريِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة». فقلت: ما أطولَ هذا! فقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، إنه لِيُخَفَّفُ عن المؤمن، حتى يكونَ أخفَّ عليه من صلاة المكتوبة يصلِّيها في الدنيا»^(٣).

واستدلَّ النحاس على صحة هذا القول بما رواه سُهيلٌ عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال^(٤): «ما من رجلٍ لم يؤدِّ زكاةَ ماله، إلا جُعِلَ [يوم القيامة] شجاعًا من نار، تكوى به جبهته وظهره وجنباؤه، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، حتى يقضيَ الله بين الناس»^(٥).

قال: فهذا يدلُّ على أنه يومُ القيامة.

(١) قول الحسن ويمان في تفسير البغوي ٤/٣٩٢ - ٣٩٣.

(٢) أخرجه الطبري ٢٣/٢٥٣.

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/٢٥٣، وأخرجه أيضاً أحمد (١١٧١٧) وفي إسناده ابن لهيعة. قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/٣٣٧: رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في رواه. اهـ. وحسن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح ١١/٤٤٨.

(٤) كذا ذكر المصنف، والذي في مطبوع إعراب القرآن ٥/٢٨ للنحاس حديث أبي سعيد الخدري السالف ولعل النحاس استدلل بحديث أبي هريرة المذكور أعلاه في كتاب آخر له. أو أن ثمة سقطاً في كتاب الإعراب، والله أعلم.

(٥) أخرجه النسائي في الكبرى (١١٥٥٧) وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه أيضاً أحمد (٧٧٢٠) وفيه: صفائح من نار. بدل: شجاعاً من نار.

وقال إبراهيم التيمي: ما قَدَّرُ ذلك اليوم على المؤمن، إلا قدرُ ما بين الظهر والعصر^(١).

وروي هذا المعنى مرفوعاً من حديث معاذٍ عن النبي ﷺ أنه قال: «يحاسبكم الله تعالى بمقدار ما بين الصلاتين، ولذلك سَمَّى نفسه سريع الحساب، وأسرع الحاسبين». ذكره الماوردي^(٢).

وقيل: بل يكون الفراغ لنصف يوم^(٣). كقوله تعالى: ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٤]. وهذا على قدر فهم الخلائق، وإلا فلا يشغله شأن عن شأن، وكما يرزقهم في ساعة، كذا يحاسبهم في لحظة، قال الله تعالى: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَفَافًا﴾ [لقمان: ٢٨].

وعن ابن عباس أيضاً أنه سُئِلَ عن هذه الآية وعن قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السجدة: ٥] فقال: أيام سَمَّاهَا الله عزَّ وجلَّ، هو أعلمُ بها كيف تكون، وأكره أن أقولَ فيها ما لا أعلم^(٤).

وقيل: معنى ذكر خمسين ألف سنة تمثيلٌ، وهو تعريفٌ طول مدَّة القيامة في الموقف، وما يلقى الناسُ فيه من الشدائد. والعربُ تصِفُ أيامَ الشدَّةِ بالطول، وأيامَ الفرحِ بالقصر؛ قال الشاعر:

ويومٍ كظِلِّ الرُّمَحِ قَصَرَ طَوْلُهُ دَمُ الزَّقِّ عَنَّا واصطفاقُ المِزَاهِرِ^(٥)

وقيل: في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ؛ والمعنى: سأل سائلٌ بعذابٍ واقعٍ للكافرين ليس له من الله دافع، في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة، تعرجُ الملائكة والروح

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٣١٦/٢.

(٢) في النكت والعيون ٩١/٦، وأورده الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٥١٥٠) بنحوه.

(٣) ذكره الواحدي في الوسيط ٣٥١/٤، والبخاري ٣٩٣/٤ من قول عطاء.

(٤) أخرجه الطبري ٢٥٤/٢٣.

(٥) سلف ١١/١٧.

إليه^(١). وهذا القول هو معنى ما اخترناه، والموفق الإله^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِيْتِمُّمُ بِرِزْقِهِ يُعِيدَا ۝٦ وَرَنَّهُ قَرِيبًا ۝٧﴾

قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا﴾ أي: على أذى قومك. والصبر الجميل: هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله^(٣). وقيل: هو أن يكون صاحب المصيبة في القوم لا يُدرى من هو. والمعنى متقارب. وقال ابن زيد: هي منسوخة بآية السيف^(٤).

﴿إِيْتِمُّمُ بِرِزْقِهِ يُعِيدَا﴾ يريد أهل مكة، يرون العذاب بالنار بعيدًا، أي: غير كائن.

﴿وَرَنَّهُ قَرِيبًا﴾ لأن ما هو آتٍ فهو قريب^(٥). وقال الأعمش: يرون البعث بعيدًا^(٦)؛

لأنهم لا يؤمنون به؛ كأنهم يستبعدونه على جهة الإحالة. كما تقول لمن تناظره: هذا بعيد لا يكون^(٧)! وقيل: أي: يرون هذا اليوم بعيدًا «وَنَرَاهُ» أي: نعلمه؛ لأن الرؤية إنما تتعلق بالموجود. وهو كقولك: الشافعي يرى في هذه المسألة كذا وكذا.

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ۝٨ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ۝٩ وَلَا يَسْتَلُّ حِمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ العامل في «يَوْمَ»: «واقع»؛ تقديره يقع بهم العذاب يوم^(٨). وقيل: «نراه»، أو «يُبصرونهم»، أو يكون بدلًا من قريب^(٩). والمُهْل:

(١) الكلام بنحوه في زاد المسير ٨/ ٣٦٠.

(٢) في (ظ): والموافق له.

(٣) هو قول مجاهد كما في النكت والعيون ٦/ ٩١.

(٤) أخرجه الطبري ٢٣/ ٢٥٥، وذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٣/ ١٢٥، وردّه هو والطبري.

(٥) النكت والعيون ٦/ ٩١.

(٦) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/ ٢٦٥ وعزاه لعبد بن حميد.

(٧) معاني القرآن للزجاج ٥/ ٢٢٠.

(٨) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٩.

(٩) مشكل إعراب القرآن ٢/ ٧٥٧.

ذُرْدِيُّ الزَيْتِ وَعَكْرُهُ^(١)؛ في قول ابن عباس وغيره. وقال ابن مسعود: ما أُذِيبَ مِنَ الرَّصَاصِ وَالنُّحَاسِ وَالْفِضَّةِ. وقال مجاهد: «كَالْمُهْلِ»: كقِيحٍ مِنْ دَمٍ وَصَدِيدٍ^(٢). وقد مضى في سورة الدخان والكهف القولُ فيه^(٣).

﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ أي: كالصُوفِ المصبوغِ، ولا يقال للصوفِ عِهْنٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَصْبُوغًا^(٤). وقال الحسن: «تَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ» وهو الصوفُ الأحمر. وهو أضعفُ الصُوفِ^(٥). ومنه قولُ زهير:

كَأَنَّ فُتَاتَ الْعِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلْنَ بِهِ حَبُّ الْفَنَاءِ لَمْ يُحَطِّمْ^(٦)

الْفُتَاتُ: الْقِطْعُ. وَالْعِهْنُ: الصُوفُ الْأَحْمَرُ؛ وَاحِدُهُ عِهْنَةٌ. وَقِيلَ: الْعِهْنُ الصُوفُ ذُو الْأَلْوَانِ؛ فَسَبَّهَ الْجِبَالَ بِهِ فِي تَلَوْنِهَا أَلْوَانًا^(٧). وَالْمَعْنَى: أَنَّهَا تَلِينُ بَعْدَ الشَّدَّةِ، وَتَتَفَرَّقُ بَعْدَ الْاجْتِمَاعِ. وَقِيلَ: أَوَّلُ مَا تَتَغَيَّرُ الْجِبَالُ تَصِيرَ رَمَلًا مَهِيلاً، ثُمَّ عِهْنًا مَنفُوشًا، ثُمَّ هَبَاءً مُنْبَثًا^(٨).

﴿وَلَا يَسْتَلُّ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أي: عَنِ شَأْنِهِ لَشُغْلِ كُلِّ إِنْسَانٍ بِنَفْسِهِ، قَالَه قَتَادَةُ^(٩). كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِكُلِّ أُمَّرِيٍّ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُنْبِتُهُ﴾ [عبس: ٣٧]. وَقِيلَ: لَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ عَنِ حَمِيمٍ، فَحَذَفَ الْجَارَ وَوَصَلَ الْفِعْلَ^(١٠). وَقِرَاءَةُ الْعَامَّةِ: «يَسْأَلُ» بفتح الياء. وَقَرَأَ شَيْبَةُ

(١) دردي الزيت: هو ما يبقى في أسفله . الصحاح (درد) .

(٢) النكت والعيون ٩٢/٦ .

(٣) ١٣٣/١٩ ، ٢٦٢/١٣ .

(٤) ياقوتة الصراط ص ٣٥٠ ، وينظر ما سلف ١٣٧/١٤ .

(٥) المحرر الوجيز ٣٦٦/٥ .

(٦) ديوان زهير ص ١٢ . قال شارحه ثعلب : أراد أن حَبَّ الفناء صحيح ؛ لأنه إذا كسر ، ظهر له لون غير الحمرة . وقال أبو عبيدة : وَحَبُّ الْفَنَاءِ : شَجَرٌ لَهُ حَبٌّ تَتَخَذُ مِنْهُ الْقَرَارِيطُ يوزن بها ، وهو شديد الحمرة .

(٧) القول بنحوه في الكشف ١٥٧/٤ . وتفسير الرازي ١٢٥/٣٠ .

(٨) ينظر مجمع البيان ٥٥/٢٩ .

(٩) أخرجه الطبري ٢٥٧/٢٣ .

(١٠) تفسير الرازي ١٢٦/٣٠ .

والبزِّيُّ عن عاصم: «ولا يُسأل» بالضم على ما لم يُسمَّ فاعله^(١)، أي: لا يُسأل حميمٌ عن حميمه، ولا ذو قرابة عن قرابته، بل كلُّ إنسانٍ يُسأل عن عمله. نظيره: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِيْنَةٌ﴾ [المدثر: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ يَوْمَ الْمَجْزُمِ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ﴾^(١١) وَصَنْحَجِيَّتِهِ وَأَخِيهِ^(١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُتَوَبَعُ^(١٣) وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ^(١٤)

قوله تعالى: ﴿يُبْصِرُونَهُمْ﴾ أي: يرونهم. وليس في القيامة مخلوقٌ إلَّا وهو نُصَبٌ^(٢) عينٍ صاحبه من الجنِّ والإنس. فيُبصرُ الرجلُ أباه وأخاه وقرابته وعشيرته، ولا يسأله ولا يكلمه، لاشتغالهم بأنفسهم. وقال ابن عباس: يتعارفون ساعةً ثم لا يتعارفون بعد تلك الساعة^(٣). وفي بعض الأخبار: إنَّ أهلَ القيامةِ يقرؤون من المعارفِ مخافةَ المظالم.

وقال ابن عباس أيضًا: «يُبْصِرُونَهُمْ»: يبصر بعضهم بعضًا، فيتعارفون، ثم يفرُّ بعضهم من بعض. فالضمير في «يُبْصِرُونَهُمْ» على هذا للكفار، والهاء^(٤) والميم للأقرباء. وقال مجاهد: المعنى يُبصرُ اللهُ المؤمنينَ الكفارَ في يومِ القيامةِ؛ فالضمير في «يُبْصِرُونَهُمْ» للمؤمنين، والهاء والميم للكفار.

ابن زيد: المعنى يُبصرُ الله الكفارَ في النار الذين أضلُّوهم في الدنيا؛ فالضمير في «يُبْصِرُونَهُمْ» للتابعين، والهاء والميم للمتبعين^(٥). وقيل: إنَّه يبصرُ المظلومَ ظالمه

(١) كذا ذكر المصنف رواية البزي عن عاصم، والذي ذكره أبو عمرو الداني في جامع البيان ٤٥٤/٢ هو رواية البرجمي عن أبي بكر عن عاصم، والبزي عن ابن كثير باختلاف فيه.

وأما القراءة عن شيبه فقد ذكرها ابن مجاهد في السبعة ص ٦٥٠ وقال: وهو غلط.

(٢) في (ظ): يبصر.

(٣) تفسير البغوي ٣٩٣/٤.

(٤) لفظة: والهاء. ليست في (م).

(٥) أخرج هذه الأقوال الطبري ٢٥٧/٢٣-٢٥٨، وينظر مشكل إعراب القرآن ٧٥٧/٢.

والمقتول قاتله^(١). وقيل: «يُبَصَّرُونَهُمْ» يرجع إلى الملائكة، أي: يعرفون أحوال الناس، فيسوقون كل فريق إلى ما يليق بهم^(٢). وتم الكلام عند قوله: «يُبَصَّرُونَهُمْ».

ثم قال: «يَوْمَ الْمُجْرِمِ» أي: يتمنى الكافر. «لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ» يعني: من عذاب جهنم بأعز من كان عليه في الدنيا من أقاربه فلا يقدر.

ثم ذكّرهم فقال: «بَيْنِهِ . وَصَلَاتِهِ» : زوجته . «وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ» أي: عشيرته. «الَّتِي تَتَّبِعُهُ» : تنصره؛ قاله مجاهد وابن زيد. وقال مالك: أمه التي تربيته. حكاها الماوردي^(٣) ورواه عنه أشهب^(٤). وقال أبو عبيدة^(٥): الفصيلة دون القبيلة. وقال ثعلب: هم أبواؤه الأذنون. وقال المبرد: الفصيلة: القطعة من أعضاء الجسد، وهي دون القبيلة. وسُميت عثرة الرجل فصيلته تشبيهاً بالبعض منه. وقد مضى في سورة الحجرات القول في القبيلة وغيرها^(٦).

وهنا مسألة، وهي: إذا حَبَسَ على فصيلته، أو أوصى لها؛ فمن ادّعى العموم حملته على العشيرة، ومن ادّعى الخصوص حملته على الآباء؛ الأدنى فالأدنى. والأوّل أكثر في النطق. والله أعلم^(٧).

ومعنى: «تُؤْوِيهِ»: تضمّه وتؤمّنه من خوف إن كان به.

«وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا» أي: ويؤدّ لو فدي بهم لافتدى «ثُمَّ يُنَجِّدُ» أي: يخلصه ذلك الفداء. فلا بدّ من هذا الإضمار، كقوله: «وَأِنَّهُ لَفَسْقٌ» [الأنعام: ١٢١]

(١) النكت والعيون ٩٢/٦ .

(٢) مجمع البيان ٥٨/٢٩ .

(٣) النكت والعيون ٩٢/٦ . والأقوال السالفة منه عدا قول مجاهد ، وقد أخرجه الطبري ٢٣/٢٦٠ .

(٤) أي عن مالك . أحكام القرآن لابن العربي ١٨٤٦/٤ .

(٥) في مجاز القرآن ٢/٢٦٩ ونقله المصنف عنه بواسطة النكت والعيون ٩٢/٦ .

(٦) ٤١٤/١٩ - ٤١٦ .

(٧) الكلام بنحوه في أحكام القرآن لابن العربي ١٨٤٦/٤ .

أي: وإن أَكَلَهُ لَفِسَق. وقيل: «يَوَدُّ الْمُجْرِمُ» يقتضي جوابًا بالفاء؛ كقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تَدِينُ قَدِهُنَّ﴾ [القلم: ٩]. والجواب في هذه الآية: «ثُمَّ يُنَجِّيه» لأنها من حروف العطف؛ أي: يَوَدُّ المجرم لو يفتدي فينجيه الافتداء.

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهَا لَأَطَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوٰى ﴿١٦﴾ تَدْعُوا مِّنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴿١٨﴾

قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ تقدّم القول في «كَلَّا» وأنها تكون بمعنى حَقًّا، وبمعنى لا^(١). وهي هنا تحتل الأمرين؛ فإذا كانت بمعنى حَقًّا، كان تمام الكلام «يُنَجِّيه». وإذا كانت بمعنى لا، كان تمام الكلام عليها، أي: ليس ينجيه من عذاب الله الافتداء. ثم قال: ﴿إِنَّهَا لَأَطَىٰ﴾ أي: هي جهنم، أي: تتلظى نيرانها؛ كقوله تعالى: ﴿فَأَنْذَرْتُكَ نَارًا تَلَطَّىٰ﴾ [الليل: ١٤] واشتقاق لظى من التلظى. والتلظى النار: التهاؤها، وتلظىها: تلهبها^(٢). وقيل: كان أصلها: «لظظ»، أي: دامت^(٣) لدوام عذابها؛ فقلبت إحدى الظائين ألفًا، فبقيت لظى.

وقيل: هي الدَّرَكَةُ الثانية من طبقات جهنم^(٤). وهي اسم مؤنث معرفة، فلا ينصرف.

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوٰى﴾ قرأ أبو جعفر وشيبة ونافع وعاصم في رواية أبي بكر عنه، والأعمش وأبو عمرو وحمزة والكسائي «نَزَّاعَةً» بالرفع^(٥). وروى أبو عمر عن عاصم^(٦) «نزاعة» بالنصب.

(١) ١٤٧/١١ .

(٢) الصحاح (لظى)، وقال الزمخشري ١٥٨/٤: لظى عَلَمٌ للنار، منقول من اللظى، بمعنى اللهب .

(٣) في (م) : ما دامت .

(٤) تفسير البغوي ٣٩٤/٤ .

(٥) النشر ٣٩٠/٢ ، والسبعة ص ٦٥١ ، والتيسير ص ٢١٤ .

(٦) في (د) و(خ) و(م) : أبو عمرو عن عاصم ، وفي (ظ) أبو عمرو وعاصم . والمثبت من (ق) . وهو الموافق لإيضاح الوقف والابتداء ٩٤٨/٢ . والكلام منه . وأبو عمر هو حفص بن سليمان راوية عاصم .

فمن رفع فله خمسة أوجه: أحدها: أن تجعلَ «لظى» خبرَ «إنَّ»، وترفعَ «نزاعةً» بإضمار هي؛ فمن هذا الوجه يحسنُ الوقف على «لظى»^(١).

والوجه الثاني: أن تكونَ «لظى» و«نزاعةً» خبرانَ لِإِنَّ؛ كما تقول: إنَّه حلُّو حامض^(٢).

والوجه الثالث: أن تكونَ «نزاعةً» بدلاً من «لظى»، و«لظى» خبرَ «إنَّ».

والوجه الرابع: أن تكونَ «لظى» بدلاً من اسم «إنَّ»، و«نزاعةً» خبرَ «إنَّ».

والوجه الخامس: أن يكونَ الضمير في «إنَّها» للقصَّة، و«لظى» مبتدأ، و«نزاعةً» خبرُ الابتداء، والجملة خبر «إنَّ»^(٣). والمعنى: أنَّ القصَّة والخبرَ لظى نزاعةً للشَّوى.

ومن نصب «نزاعةً» حَسَنَ له أن يقف على «لظى» وينصب «نزاعةً» على القطع من «لظى» إذ كانت نكرةً متصلةً بمعرفة^(٤).

ويجوز نصبُها على الحال المؤكَّدة؛ كما قال: ﴿وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾ [البقرة: ٩١]. ويجوز أن تُنصبَ على معنى: إنَّها تتلظى نزاعةً^(٥)، أي: في حال نزعها للشَّوى. والعاملُ فيها ما دلَّ عليه الكلام من معنى التلظى^(٦).

ويجوز أن يكونَ حالًا؛ على أنه حالٌ للمكذِّبين بخبرها.

ويجوز نصبها على المدح^(٧)؛ كما تقول: مررتُ بزبيدٍ العاقلِ الفاضلِ. فهذه

(١) إيضاح الوقف والابتداء ٩٤٨/٢.

(٢) في النسخ: خلق مخاصم. وهو خطأ. والمثبت من الكشف عن وجوه القراءات ٣٣٦/٢ والكلام منه.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات ٣٣٦/٢.

(٤) إيضاح الوقف والابتداء ٩٤٨/٢.

(٥) معاني القرآن للزجاج ٢٢١/٥.

(٦) الكشف عن وجوه القراءات ٣٣٥/٢.

(٧) في (ق) و(خ): المنع. وفي (ظ) و(م): القطع. والمثبت من (د) وهو الموافق لإيضاح الوقف والابتداء ٩٤٨/٢. والكلام منه.

خمسة أوجهٍ للنصب أيضًا .

والشَوَى: جمعُ شِوَاةٍ، وهي جِلْدَةُ الرَّأْسِ. قال الأعشى:

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَالَهُ قَدْ جُلِّلَتْ شَيْبًا شَوَاتُهُ^(١)

وقال آخر:

لَأَصْبَحَتْ هَدَّتَكَ الْحَوَادِثُ هَدَّةً لَهَا فَشِوَاةُ الرَّأْسِ بَادٍ قَتِيرُهَا^(٢)

القَتِيرُ: الشَّيْبُ^(٣). وفي الصحاح: والشَوَى: جمعُ شِوَاةٍ، وهي جِلْدَةُ الرَّأْسِ.

والشَوَى: اليدان والرَّجْلان والرَّأْسُ مِنَ الْآدَمِيِّينَ، وَكُلُّ مَا لَيْسَ مَقْتَلًا. يقال: رَمَاهُ فَأَشِوَاهُ، إِذَا لَمْ يُصَبِّ الْمَقْتَلُ. قال الهذلي^(٤):

فَإِنَّ مِنَ الْقَوْلِ الَّتِي لَا شَوَى لَهَا إِذَا زَلَّ عَنْ ظَهْرِ اللِّسَانِ انْفِلَاتُهَا

يقول: إِنَّ مِنَ الْقَوْلِ كَلِمَةً لَا تُشْوِي، وَلَكِنْ تَقْتُلُ. قال الأعشى:

قَالَتْ قُتَيْلَةُ مَالَهُ قَدْ جُلِّلَتْ شَيْبًا شَوَاتُهُ^(٥)

قال أبو عبيدة^(٦): أنشدها أبو الخطاب الأخفشُ أبا عمرو بنَ العلاء، فقال له:

صَحَّفْتَ، إِنَّمَا هُوَ سَرَاتُهُ^(٧)؛ فَسَكَتَ أَبُو الْخَطَّابِ، ثُمَّ قَالَ لَنَا: بَلْ هُوَ صَحَّفَ، إِنَّمَا هُوَ شَوَاتِهِ. وَشَوَى الْفَرَسِ: قَوَائِمُهُ؛ لِأَنَّهُ يُقَالُ: عَبِلُ الشَّوَى^(٨)، وَلَا يَكُونُ هَذَا

(١) معاني القرآن للزجاج ٢/٢٢١. ولم نقف على البيت في ديوان الأعشى، وذكره أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/٢٦٩، والطبري في تفسيره ٢٣/٢٦١.

(٢) البيت لكثير عزة، وهو في ديوانه ص ١٦١. وفيه: نعم. بدل: لها.

(٣) الصحاح (قتر).

(٤) هو أبو ذؤيب الهذلي؛ كما في ديوان الهذليين ١/١٦٣.

(٥) سلف قريباً.

(٦) في (ظ) و(م): أبو عبيد. والمثبت من (د) و(خ) و(ق)، وهو الموافق للصحاح والكلام منه. وكلام أبي عبيدة في مجاز القرآن له ٢/٢٦٩-٢٧٠.

(٧) بعدها في الصحاح (شوى) والكلام منه: سراته: أي: نواحيه.

(٨) أي: ضخم القوائم.

للرأس؛ لأنهم وصفوا الخيل بأسالة الخدَّين، وعَتَقَ الوجه؛ وهو رِقَّتَه. والشَّوى: رُذال المال. والشَّوى: هو الشيء الهين اليسير.

وقال ثابت البناني والحسن: «نَزَّاعَةٌ لِلشَّوى» أي: لمكارم وجهه^(١). أبو العالية: لمحاسن وجهه^(٢). قتادة: لمكارم خلقته وأطرافه. وقال الضَّحَّاك: تَبْرِي اللحم والجلد عن العظم حتى لا تترك منه شيئاً. وقال الكسائي: هي المفاصل. وقال بعض الأئمة: هي القوائم والجلود. قال امرؤ القيس:

سَلِيمِ الشَّظَى عَبْلِ الشَّوى شَنِجِ النَّسَا لَهُ حَجَبَاتٌ مُشْرِفَاتٌ عَلَى الْفَالِ^(٤)
وقال أبو صالح: أطراف اليدين والرَّجلين. قال الشاعر:

إِذَا نَظَرْتُ عَرَفْتَ الْفَخْرَ مِنْهَا وَعَيْنِيهَا وَلَمْ تَعْرِفْ شَوَاهَا^(٥)
يعني: أطرافها. وقال الحسن أيضاً: الشَّوى: الهام^(٦).

﴿تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى﴾ أي: تدعو لظي من أدبر في الدنيا عن طاعة الله، وتولَّى عن الإيمان. ودعاؤها أن تقول: إِلَيَّ يَا مُشْرِكُ، إِلَيَّ يَا كَافِرُ.

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٩٣/٦ عن الحسن، وذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٦٥ عن ثابت وعزاه لابن المنذر.

(٢) زاد المسير ٨/٣٦٢.

(٣) في (د) و(م): تفري، وفي (ظ): تجري. والمثبت من (خ) و(ق) وهو الموافق لتفسير الطبري ٢٣/٢٦٣ وقد أخرجه عنه.

(٤) ديوان امرئ القيس ص ٣٦. قال شارحه: قوله: سليم الشظي: هو عظم صغير في يد الفرس، فإذا تحرك قيل: شظي الفرس. والشوى: القوائم. والنَّسَا: عرق، ووصفه بالشَّنج لأنه أصلب له. والحجبات: رؤوس الأوراك. وقوله: على الفال: يريد على الفائل؛ وهو عرق عن يمين عَجَب الذنب ويساره.

(٥) النكت والعيون ٩٣/٦. والبيت في ديوان مجنون ليلى ص ٣٠١ وفيه: الجيد. بدل: الفخر. وهو أيضاً في ديوان ابن الدمينه ص ١٩١. وفيه: النحر، بدل: الفخر. وجاء في الديوانين بلفظ: سواها؛ بالمهمله. بدل: شواها.

(٦) لفظ قول الحسن في المحرر الوجيز ٥/٣٦٧: الشوى: جلد الرأس والهامة.

وقال ابن عباس: تدعو الكافرين والمنافقين بأسمائهم، بلسان فصيح: إليّ يا كافر، إليّ يا منافق؛ ثم تلتقطهم كما يلتقط الطيرُ الحَبَّ^(١).

وقال ثعلب: «تَدْعُو» أي: تُهْلِك. تقول العرب: دعاك الله، أي: أهلكك الله^(٢).

وقال الخليل^(٣): إنّه ليس كالُدَّعاء: تعالوا، ولكن دَعَوْتُها إياهم، تَمَكَّنْها من تعذيبهم.

وقيل: الداعي خَزَنَةُ جهنم؛ أضيف دعاؤهم إليها. وقيل: هو ضربٌ مَثَلٌ، أي: إنَّ مصيرَ من أدبر وتولَّى إليها، فكأنَّها الداعية لهم. ومثله قول الشاعر^(٤):

ولقد هبطنا الواديين فوادياً يدعو الأنيسَ به العضيضُ الأبكمُ
العضيضُ الأبكمُ: الذباب. وهو لا يدعو، وإنما طنينه نَبَّه عليه، فدعا إليه^(٥).

قلت: القولُ الأوَّلُ هو الحقيقة؛ حَسَبَ ما تقدَّم بيانه بأي القرآن والأخبار الصحيحة.

القشيريُّ: ودعاءٌ لَطَى بخلق الحياة فيها حين تدعو، وخوارق العادة غداً كثيرة.

﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾ أي: جمع المالَ فجعله في وعائه، ومنع منه حقَّ الله تعالى؛ فكان جَموعاً مَنوعاً^(٦). قال الحَكَم: كان عبد الله بن عُكَيْم لا يربط كيسه، ويقول: سمعتُ الله يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَى﴾^(٧).

(١) تفسير البغوي ٤/٣٩٤.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٣٦٧.

(٣) في العين ٢/٢٢١.

(٤) ذكره ابن قتيبة في المعاني الكبير ٢/٦٠٣ دون نسبة.

(٥) النكت والعيون ٦/٩٣ - ٩٤.

(٦) النكت والعيون ٦/٩٤.

(٧) أخرجه الطبري ٢٣/٢٦٥.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ يعني: الكافر؛ عن الضحاك^(١). والهَلَعُ في اللغة: أشدُّ الحرص وأسوأ الجزع وأفحشهُ. وكذلك قال قتادة ومجاهد وغيرهما. وقد هَلِعَ - بالكسر - يَهْلَعُ، فهو هَلِيعٌ وهَلُوعٌ^(٢)؛ على التكرير. والمعنى: إنه لا يصبر على خيرٍ ولا شرٍّ حتى يفعل فيهما ما لا ينبغي. عكرمة: هو الضَّجُور^(٣). الضَّحَاكُ: هو الذي لا يشبع^(٤). والمَنُوعُ: هو الذي إذا أصابَ المالَ منعَ منه حقُّ الله تعالى^(٥). وقال ابنُ كيسان: خلق الله الإنسانَ يحبُّ ما يسره ويرضيه، ويهربُ مما يكرهه ويسخطُ، ثم تعبَّده الله بإنفاق ما يحبُّ، والصبر على ما يكره^(٦).

وقال أبو عبيدة: الهَلُوعُ: هو الذي إذا مسَّه الخيرُ لم يشكر، وإذا مسَّه الضُّرُّ لم يصبر؛ قاله ثعلب.

وقال ثعلب أيضاً: قد فسَّر الله الهَلُوعَ، وهو الذي إذا ناله الشرُّ أظهرَ شدةَ الجَزَعِ، وإذا ناله الخيرُ بَخِلَ به ومنعه الناس^(٧).

وقال النبي ﷺ: «شَرُّ ما أُعطي العبدُ: شُحُّ هالِعٍ، وَجُبْنُ خالِعٍ»^(٨). والعربُ تقول: ناقةٌ هَلُواعةٌ وهَلُواعٌ؛ إذا كانت سريعةَ السَّيرِ خفيفةً^(٩). قال:

(١) أخرجه الطبري ٢٣/٢٦٦.

(٢) الصحاح (هلع).

(٣) زاد المسير ٨/٣٦٣.

(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور ٦/٢٦٦ وعزاه لابن المنذر.

(٥) تفسير أبي الليث ٣/٤٠٤.

(٦) تفسير البغوي ٤/٣٩٤.

(٧) ينظر الدر المصون ١٠/٤٥٩.

(٨) أخرجه أحمد (٨٠١٠)، وأبو داود (٢٥١١) من حديث أبي هريرة ؓ.

(٩) ينظر الصحاح (هلع).

صَكَّاءٍ ذُغَلِبَةٍ إِذَا اسْتَدْبَرْتَهَا حَرَجٌ إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا هَلُوعٌ^(١)
الذُّغَلِبُ وَالذُّغَلِبَةُ: الناقة السريعة^(٢).

و«جَزُوعًا» و«مُنُوعًا» نعتان لِهَلُوعٍ. على أن ينوي بهما التقديم قبل «إذا». وقيل:
هو خير «كان» مضمرة.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ۖ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ۗ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۖ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ۖ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّوْمِ الَّذِينَ ۖ وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ۗ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ۗ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ۖ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ۖ فَمَنْ أَتَىٰ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ۗ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ ۗ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ۗ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۗ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ۖ﴾

قوله تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ دلٌّ على أن ما قبله في الكفار؛ فالإنسان اسمٌ جنس؛
بدليل الاستثناء الذي يعقبه، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾
[العصر: ٢-٣].

قال النَّحَّعِيُّ: المراد بالمصلين الذين يؤدُّون الصلاة المكتوبة^(٣). ابن مسعود:
الذين يصلونها لوقتها، فأما تركها فكفر^(٤). وقيل: هم الصحابة. وقيل: هم المؤمنون
عامَّة، فإنهم يعلِّبون فرط الجزع بثقتهم برَّبِّهم ويقينهم.

(١) البيت للمسيب بن علس، وهو في المفضليات ص ٦١، وكتاب الحيوان للجاحظ ٤/٣٩٩، وتهذيب اللغة ١/١٤٤. قوله: صكَّاء؛ من الصكك، وهو تقارب العرقوبين، يقول: كأنها نعامة في تقارب عرقوبَيْها، ويحمد من النجائب تقارب العرقوبَيْنِ. (والعرقوب من الدابة: ما يكون في رجلها بمنزلة الركبة في يدها). وقوله: الحَرَجُ هو سرير عمل عليه الموتى؛ شبهها به لطولها. والهَلُوعُ: الحديدية السريعة. شرح اختيارات المفضل ١/٣٠٩-٣١٠.

(٢) الصحاح (ذغلب).

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/٢٦٨.

(٤) المحرر الوجيز ٥/٣٦٨.

﴿الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ أي: على مواقيتها. وقال عقبه بن عامر: هم الذين إذا صلّوا لم يلتفتوا يمينا ولا شمالا^(١). والدائم الساكن، ومنه: نهى عن البول في الماء الدائم^(٢)، أي: الساكن. وقال ابن جريج والحسن: هم الذين يُكثرون فعلَ التطوّع منها^(٣).

﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ﴾ يريد الزكاة المفروضة؛ قاله قتادة وابن سيرين^(٤). وقال مجاهد: سوى الزكاة. وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: صلة رَجِمَ وَحَمَلُ كُلِّ^(٥). والأوّل أصح؛ لأنّه وَصَفَ الْحَقَّ بِأَنَّهُ مَعْلُومٌ، وسوى الزكاة ليس بمعلوم، إنّما هو على قدر الحاجة، وذلك يَقِلُّ ويكثر^(٦).

﴿لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُورِ﴾ تقدّم في «الذاريات»^(٧).

﴿وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: بيوم الجزاء، وهو يوم القيامة. وقد مضى في سورة الفاتحة القول فيه^(٨).

﴿وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ أي: خائفون. ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ﴾ قال ابن عباس: لمن أشرك أو كذّب أنبياءه.

وقيل: لا يأمنه أحدٌ، بل الواجب على كلِّ أحدٍ أن يخافه ويُشفق منه.

(١) أخرجه الطبري ٢٣/٢٦٩.

(٢) في حديث أبي هريرة ؓ مرفوعاً: «لا يَبُلُّ أحدكم في الماء الدائم، ولا يغتسل فيه من الجنابة». أخرجه أحمد (٩٥٩٦).

(٣) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦/٩٥، وابن الجوزي في زاد المسير ٨/٣٦٤ عن ابن جريج.

(٤) ذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/٣٢ عن قتادة.

(٥) تفسير الطبري ٢٣/٢٧٠ - ٢٧١.

(٦) غير أن ابن عطية صحح قول مجاهد في المحرر الوجيز ٥/٣٦٨. قال: وهذا هو الأصح في هذه الآية لأنّ السورة مكية، وفرض الزكاة وبيانها إنّما كان بالمدينة.

(٧) ٤٨٢/١٩.

(٨) ٢٢١/١.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِغُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مُؤْمِنِينَ . فَمَنِ ابْتَغَىٰ زَوْجَكَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ تقدم القول فيه في سورة قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ^(١) .
 ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رِعُونَ﴾ تقدم أيضاً .

﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ﴾ على من كانت [عليه]^(٢) من قريب أو بعيد، يقومون بها عند الحكام^(٣) ولا يكتمونها ولا يغيرونها. وقد مضى القول في الشهادة وأحكامها في سورة البقرة^(٤). وقال ابن عباس: «بِشَهَادَاتِهِمْ» أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ^(٥). وقُرئ «لِأَمَانَتِهِمْ» على التوحيد. وهي قراءة ابن كثير وابن مُحَيِّص^(٦). فالأمانة: اسمُ جنس، فيدخل فيها أمانات الدين، فإنَّ الشرائع أماناتٌ ائتمن الله عليها عباده. ويدخل فيها أمانات الناس من الودائع. وقد مضى هذا كله مستوفى في سورة النساء^(٧).

وقرأ عباس الدُّورِي^(٨) عن أبي عمرو ويعقوب: «بِشَهَادَاتِهِمْ» جمعاً^(٩). الباكون:

(١) ١٥ - ١١/١٥ .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق . ينظر اللباب لابن عادل الحنبلي ٣٧١/١٩ ، وفتح القدير ٢٩٣/٥ .

(٣) في (د) و(م) : الحاكم .

(٤) ٤٧٧/٤ .

(٥) تفسير الرازي ١٣١/٣٠ .

(٦) قراءة ابن كثير في السبعة ص ٦٥١ ، والتيسير ص ١٥٨ . وقراءة ابن محييصن في إتحاف فضلاء البشر ص ٥٥٦ .

(٧) ٤٢٣/٦ .

(٨) كذا قال المصنف، وهو وهم منه رحمه الله، إنما هو عباس بن الفضل بن عمرو، أبو الفضل الأنصاري الواقفي . معرفة القراء الكبار ٣٧٧/١ . أما عباس الدوري، فهو ابن محمد أبو الفضل البغدادي، روى عنه أصحاب السنن .

(٩) وقرأ بها أيضاً عاصم في رواية حفص . السبعة ص ٦٥١ ، وقراءة يعقوب في النشر ٣٩١/٢ ، ولم يذكر أبو عمرو الداني رواية عباس بن الفضل عن أبي عمرو في التيسير، وذكرها في جامع البيان ٤٥٥/٢ .

«بِشَهَادَتِهِمْ» على التوحيد؛ لأنها تؤدّي عن الجمع. والمصدر قد يُفرد وإن أُضيف إلى جمع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ [القمان: ١٩]. وقال الفراء: ويدلّ على أنها «بِشَهَادَتِهِمْ» توحيداً قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: ٢٢].

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ قال قتادة: على وضوئها وركوعها وسجودها. وقال ابن جريج^(١): التطوع. وقد مضى في سورة المؤمنين^(٢). فالدوام خلاف المحافظة. فدوامهم عليها أن يحافظوا على أدائها لا يُخلّون بها ولا يشتغلون عنها بشيء من الشواغل، ومحافظةهم عليها أن يراعوا إسباغ الوضوء لها ومواقبتها، ويقيموا أركانها، ويكملوها بسننها وآدابها، ويحفظوها من الإحباط باقتراف^(٣) المآثم. فالدوام يرجع إلى نفس الصلوات، والمحافظة إلى أحوالها^(٤).

﴿أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ﴾ أي: أكرمهم الله فيها بأنواع الكرامات.

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يَدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَبْلَكَ مُهْطِعِينَ﴾ قال الأخفش: مسرعين. قال:

بمكّة أهلها ولقد أراهم إليه مهطعين إلى السماع^(٥)

والمعنى: ما بالهم يُسرعون إليك، ويجلسون حوالك، ولا يعملون بما تأمرهم؟

وقيل: أي: ما بالهم مسرعين في التكذيب لك؟ وقيل: أي: ما بال الذين كفروا

(١) ذكر قوله ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٧٠/٥.

(٢) ١٥/١٥.

(٣) في (م) باقتراب.

(٤) الكشف ١٥٩/٤.

(٥) النكت والعيون ٩٦/٦. والبيت ليزيد بن مفرغ الحميري وهو في ديوانه ص ١١٠، وروايته فيه:

بدجلة أهلها ولقد أراهم بدجلة مهطعين إلى السماع

يُسْرِعُونَ إِلَى السَّمَاعِ مِنْكَ لِيُعَيَّبَكَ وَيَسْتَهْزِئُوا بِكَ^(١)؟ وقال عطية: مهطعين: معرضين. الكلبي: ناظرين إليك تعجباً^(٢). وقال قتادة: عامدين^(٣). والمعنى متقارب، أي: ما بالهم مسرعين عليك، ماذين أعناقهم، مدمني النظر إليك^(٤)؟ وذلك من نظر العدو. وهو منصوبٌ على الحال. نزلت في جمعٍ من المنافقين المستهزئين، كانوا يحضرونه عليه الصلاة والسلام ولا يؤمنون به^(٥). و«قَبْلَكَ» أي: نحوك.

﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ﴾ أي: عن يمين النبي ﷺ وشماله، حَلَقًا حَلَقًا وجماعات. والعزِينَ: جماعاتٍ في تفرقة، قاله أبو عبيدة^(٦). ومنه حديث النبي ﷺ، أَنَّهُ خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَرَأَهُمْ حَلَقًا، فَقَالَ: «مَا لِي أَرَاكُمْ عِزِينَ، أَلَا تَصْفُونَ كَمَا تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟»، قالوا: وكيف تَصِفُ الْمَلَائِكَةُ عِنْدَ رَبِّهَا؟ قال: «يُتَمُونَ الصُّفُوفَ الْأُولَى، وَيَتَرَاوُونَ فِي الصَّفِّ» خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ^(٧). وقال الشاعر:

تَرَانَا عِنْدَهُ وَاللَّيْلُ دَاجٍ عَلَى أَبْوَابِهِ حَلَقًا عِزِينَا^(٨)

وقال الراعي:

أَخْلِيْفَةَ الرَّحْمَنِ إِنَّ عَشِيرَتِي أَمْسَى سَرَاتُهُمْ إِلَيْكَ عِزِينَا^(٩)

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣/٥ .

(٢) النكت والعيون ٩٦/٦ .

(٣) أخرجه الطبري ٢٣/٢٧٨ .

(٤) تفسير البغوي ٤/٣٩٥ .

(٥) تفسير الرازي ٣٠/١٢١ .

(٦) في مجاز القرآن ٢/٢٧٠ .

(٧) صحيح مسلم (٤٣٠) ، ومسند أحمد (٢٠٩٦٤) ، عن جابر بن سمرة ؓ .

(٨) النكت والعيون ٩٧/٦ . وجاء بعد البيت في (د) و(م) : أي متفرقين .

(٩) ديوان الراعي النميري ص ٢٢٨ وروايته فيه :

أَمْسَى سَوَاتُهُمْ عِزِينَ فُلُولَا

أُولَى أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ عَشِيرَتِي

وَسَرَاةُ الشَّيْءِ أَي : خِيَارُهُ . لِسَانُ الْعَرَبِ (سرا) .

أي: متفرقين. وقال آخر:

كَأَنَّ الْجَمَاعِمَ مِنْ وَقَعِهَا
خَنَاطِيلٌ^(١) يَهُوبِينَ شَتَّى عَزِينَا^(٢)

وقال آخر:

فَلَمَّا أَنْ أَتَيْنَ عَلَى أَضَاخٍ
ضَرَحْنَ حَصَاهُ أَشْتَاتَا عَزِينَا^(٣)

وقال الكُمَيْتُ^(٤):

وَنَحْنُ وَجَنْدَلٌ بَاغٍ تَرَكْنَا
كَتَائِبَ جَنْدَلٍ شَتَّى عَزِينَا

وقال عترة^(٥):

وَقَرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ لِذِي وَلِيِّ
عَلَيْهِ الطَّيْرُ كَالْعُصْبِ الْعَزِينِ

وواحدٌ عَزِينٌ: عِزَّةٌ، جُمع بالواو والنون؛ ليكون ذلك عِوَضاً مما حُذِفَ منها.
وأصلها: عِزْهَةٌ، فاعتلَّت كما اعتلَّت سَنَةٌ، فيمن جعل أصلها سَنْهَةً^(٦). وقيل:
أصلها: عِزْوَةٌ، من عزاه يعزوه: إذا أضافه إلى غيره. فكلُّ واحدٍ^(٧) من الجماعات
مضافةٌ إلى الأخرى، والمحذوف منها الواو.

وفي الصحاح: والعِزَّةُ: الفِرْقَةُ من الناس، والهَاءُ عِوَضٌ من الياء، والجمع عِزَى
- على فِعْلٍ - وَعِزْوُونَ وَعِزْوُونَ أيضاً بالضم، ولم يقولوا عِزَاتٍ، كما قالوا ثُبَاتٍ. قال

(١) الخناطيل: جماعاتٌ من الوحش والطيور في تفرقةٍ، ولا واحد لها من جنسها. اللسان (خنطل).

(٢) لم نقف عليه. وجاء بعده في (د) و(م): أي متفرقين.

(٣) لم نقف على قائله. وهو في الصحاح (عزا). قوله: أضاخ: اسم جبل أو موضع. اللسان (أضخ)،
وضرحه: دفعه ونحاه. القاموس (ضرح).

(٤) في ديوانه ص ٤٤٨.

(٥) في (د) و(ظ): وقال غيره. والبيت في ديوان عترة (مصورة دار الكتب العلمية. تحقيق: عبد المنعم
عبد الرؤوف شلبي) ص ١٧٩ برواية:

وَقَرْنٍ قَدْ تَرَكْتُ لَدَى مَكْرٍ
عَلَيْهِ سَبَائِبٌ كَالْأَرْجَوَانِ

(٦) الكلام بنحوه في مشكل إعراب القرآن ٧٥٩/٢.

(٧) في (د) أحد، وفي مجمع البيان ٦١/٢٩ - والكلام منه -: جماعة.

الأصمعيّ: يقال في الدار: عزون، أي: أصناف من الناس^(١).
 ﴿وَعَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ متعلّق بـ«مُهْطِعِينَ» ويجوز أن يتعلّق بـ«عِزِينَ» على حدّ
 قولك: أخذته عن زيد^(٢).

﴿أَيُّطَمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾ قال المفسرون: كان المشركون
 يجتمعون حول النبي ﷺ، ويستمعون كلامه، فيكذبونه، ويكذبون عليه، ويستهزئون
 بأصحابه، ويقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم، ولئن أعطوا منها شيئاً
 لنعطين أكثر منه، فنزلت: «أَيُّطَمَعُ» الآية^(٣).

وقيل: كان المستهزئون خمسة أرهط^(٤). وقرأ الحسنُ وطلحةُ بن مُصَرِّفٍ
 والأعرجُ: «أَنْ يُدْخَلَ» بفتح الياء وضم الخاء؛ مُسَمَّى الفاعل. ورواه المفضل عن
 عاصم^(٥). الباقر: «أَنْ يُدْخَلَ» على الفعل المجهول.

﴿كَلَّا﴾ لا يدخلونها. ثم ابتداء فقال: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ أي: إنهم يعلمون
 أنهم مخلوقون من نطفة، ثم من علقية، ثم من مضغة؛ كما خلق سائر جنسهم، فليس
 لهم فضلٌ يستوجبون به الجنة، وإنما تُستوجب بالإيمان والعمل الصالح ورحمة الله
 تعالى^(٦). وقيل: كانوا يستهزؤون بفقراء المسلمين، ويتكبرون^(٧) عليهم. فقال: ﴿إِنَّا
 خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ﴾ من القدر، فلا يليق بهم هذا التكبر.

وقال قتادة في هذه الآية: إنما خُلِقْتَ يا ابن آدم من قدر، فاتق الله^(٨).

(١) الصحاح (عزا).

(٢) ينظر مجمع البيان للطبرسي ٦٢/٢٩.

(٣) أسباب النزول للواحد ص ٤٧٤.

(٤) الكشاف ١٦٠/٤.

(٥) قراءة الحسن وطلحة والمفضل عن عاصم في المحرر الوجيز ٣٧٠/٥، وزاد المسير ٣٦٤/٨.

(٦) تفسير البغوي ٣٩٥/٤.

(٧) في (د): وينكرون.

(٨) أخرجه الطبري ٢٨٢/٢٣.

وروي أَنَّ مُطَّرَفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الشُّخَيْرِ رَأَى الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صُفْرَةَ يَتَبَخَّرُ فِي مُطَّرَفٍ^(١) خَزٌّ وَجُبَّةٌ خَزٌّ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، مَا هَذِهِ الْمِشْيَةُ الَّتِي يُبْغِضُهَا اللَّهُ؟! فَقَالَ لَهُ: أَتَعْرِفْنِي؟ قَالَ: نَعَمْ، أَوْلَيْكَ نَطْفَةٌ مَذِرَةٌ، وَأَخْرُكَ جِيْفَةً قَذِرَةً، وَأَنْتَ تَحْمِلُ الْعَذِرَةَ. فَمَضَى الْمُهَلَّبُ وَتَرَكَ مِشْيَتَهُ^(٢).

ونظم الكلام محمود الوراق فقال:

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ وَكَانَ فِي الْأَصْلِ نَطْفَةً مَذِرَةً
وَهُوَ غَدَاً بَعْدَ حُسْنِ صُورَتِهِ يَصِيرُ فِي اللَّحْدِ جِيْفَةً قَذِرَةً
وَهُوَ عَلَى تَيْهِهِ وَتَخَوْتِهِ مَا بَيْنَ ثُوبِيهِ يَحْمِلُ الْعَذِرَةَ^(٣)
وقال آخر:

هل في ابن آدم غير الرأس مَكْرُمَةٌ وهو بخمسين من الأوساخ مضروبٌ
أنفٌ يسيل وأذنٌ ريحها سَهْكَ^(٤) والعين مُرْمَصَةٌ^(٥) والثغر ملعوبٌ^(٦)
يا ابن التراب ومأكول التراب غَدَاً قَصْرٌ فَإِنَّكَ مَأْكُولٌ وَمَشْرُوبٌ^(٧)
وقيل: معناه من أجل ما يعلمون، وهو الأمر والنهي، والثواب والعقاب. كقول

(١) المطرف: بضم الميم وكسرهما واحد المطارف، وهي أردية من خزٍّ مربعة لها أعلام. مختار الصحاح (طرف).

(٢) ذكر هذه القصة الذهبي في سير أعلام النبلاء ٥٠٥/٤.

(٣) الأبيات ذكرها الوطواط في غرر الخصائص الواضحة ص ٦٨ دون نسبة. ونسبها السبكي في طبقات الشافعية الكبرى ٣/٣١٨ لأبي محمد البافي.

(٤) السهك: هي ريح كريهة تجدها من الإنسان إذا عرق. اللسان (سهك).

(٥) الرَّمَص: وسخ أبيض يجتمع في الموق. القاموس (رمص).

(٦) في (د) و(ق) و(م): ملهوب. والمثبت من (خ) و(ظ)، و(ظ) غرر الخصائص الواضحة. وثغر ملعوب، أي: ذو لعاب، الصالح (لعب).

(٧) الأبيات في غرر الخصائص الواضحة ص ٦٨. دون نسبة.

الشاعر وهو الأعشى^(١):

أَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى ابْتِكَارًا وَشَطَّتْ عَلَيَّ ذِي هَوَى أَنْ تُزَارَا
أي: من أجل ليلي^(٢).

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ رَبِّيَ الشَّرِيفَ وَالْمَغْرِبَ إِنَّا لَقَدِيرُونَ ﴿٤١﴾ عَلَيَّ أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنِّي وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَا أُقِيمُ﴾ أي: أقسم. و«لا» صلة. ﴿رَبِّيَ الشَّرِيفَ وَالْمَغْرِبَ﴾ هي مشارق الشمس ومغاربها. وقد مضى الكلام فيها^(٣). وقرأ أبو حنيفة وابن محيصة وحُميد: «ربّ المشرق والمغرب» على التوحيد^(٤).

﴿إِنَّا لَقَدِيرُونَ﴾. عَلَيَّ أَنْ تُبَدِّلَ خَيْرًا مِنِّي﴾ يقول: نقدرُ على إهلاكهم والذهاب بهم، والمجيء بخيرٍ منهم في الفضل والطوع والمال^(٥).

﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ أي: لا يفوتنا شيءٌ ولا يعجزنا أمرٌ نريده.

قوله تعالى: ﴿فَلَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾﴾

أي: اتركهم يخوضوا في باطلهم ويلعبوا في دنياهم؛ على جهة الوعيد. واشتغل أنت بما أمرت به، ولا يعظمنَّ عليك شريكهم؛ فإنَّ لهم يوماً يلقون فيه ما وعدوا. وقرأ ابنُ محيصة ومجاهد وحُميد: «حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ»^(٦). وهذه الآية

(١) في ديوانه ص ٩٥.

(٢) مجمع البيان ٦٣/٢٩.

(٣) ٣٢٤/٢.

(٤) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٦١ عن ابن محيصة.

(٥) في (د): المثال.

(٦) وهي قراءة أبي جعفر - من العشرة - كما في النشر ٣٩١/٢. وقراءة ابن محيصة في المحرر الوجيز

٣٧١/٥، وزاد المسير ٣٦٦/٨.

منسوخة بآية السيف^(١).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفُسُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

«يَوْمَ» بدل من «يَوْمَهُمْ» الذي قبله، وقراءة العامة: «يُخْرِجُونَ» بفتح الياء، وضمّ الراء على أنه مسمّى الفاعل. وقرأ السُّلَمِيُّ والمغيرة والأعشى عن عاصم: «يُخْرِجُونَ» بضمّ الياء، وفتح الراء على الفعل المجهول^(٢).

والأجداث: القبور، واحداها جَدَث^(٣). وقد مضى في سورة يس^(٤).

﴿سِرَاعًا﴾ حين يسمعون الصيحة الآخرة إلى إجابة الداعي، وهو نصبٌ على

الحال.

﴿كَانَتْهُمْ إِلَىٰ نُصْبٍ يُؤْفُسُونَ﴾ قراءة العامة بفتح النون وجزم الصاد. وقرأ ابن عامر وحفص بضم النون والصاد^(٥). وقرأ عمرو بن ميمون وأبو رجاء وغيرهما بضم النون وإسكان الصاد^(٦). والنَّضْبُ والنُّضْبُ لغتان، مثل الضَّعْفُ والضُّعْفُ^(٧). الجوهرى^(٨): والنَّضْبُ ما نُصِبَ فَعْبِدُ من دون الله، وكذلك النَّضْبُ بالضمّ؛ وقد يُحْرَكُ. قال الأعشى:

(١) المحرر الوجيز ٣٧١/٥، وزاد المسير ٣٦٦/٨، وقال ابن الجوزي: وإذا قلنا إنه وعيدٌ بلقاء يوم القيامة، فلا وجه للنسخ.

(٢) ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٦١، ونسبها لعلي بن عاصم. وهي برواية الأعشى عن عاصم في جامع البيان لأبي عمرو الداني ٤٥٥/٢ - ٤٥٦.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٢٢٤/٥.

(٤) ٤٦٢/١٧.

(٥) السبعة ص ٦٥١، والتيسير ص ٢١٤.

(٦) نسبها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ١٦١ لأبي العالية، ونسبها ابن عطية في المحرر الوجيز ٣٧١/٥ للحسن وقتادة.

(٧) تفسير الرازي ١٣٣/٣٠.

(٨) في الصحاح (نصب).

وَذَا النَّصْبِ الْمَنْصُوبِ لَا تَنْسُكُنَّهُ لِعَافِيَةٍ^(١) وَاللَّهُ رَبُّكَ فَاعْبُدَا^(٢)
 أراد «فَاعْبُدُنْ» فوقف بالألف؛ كما تقول: رأيتُ زيداً. والجمع الأنصاب. وقوله:
 «وَذَا النَّصْبِ» بمعنى إِيَّاكَ وذَا النَّصْبِ. والنُّصْبُ: الشرُّ والبلاء؛ ومنه قوله تعالى:
 ﴿أَفِي مَسْنَى الشَّيْطَانِ نِصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١].

وقال الأخفش والفرّاء: النَّصْبُ جمع النَّصْبِ مثل رَهْنٍ ورُهْنٍ، والأنصاب جمع
 نُصْبٍ؛ فهو جمع الجمع^(٣). وقيل: النَّصْبُ والأنصاب واحد. وقيل: النَّصْبُ جمع
 نِصَابٍ، وهو حجرٌ أو صنمٌ يُذْبَحُ عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ﴾
 [المائدة: ٣]. وقد قيل: نُصْبٌ ونُصْبٌ ونُصْبٌ؛ بمعنى واحد؛ كما قيل: عُمُرٌ وعُمُرٌ
 وعُمُرٌ؛ ذكره النحاس^(٤).

قال ابن عباس: «إلى نصب» إلى غاية، وهي التي تَنْصِبُ إليها بصرک.
 وقال الكلبي: إلى شيءٍ منصوبٍ؛ عِلْمٌ أو رَايَةٌ^(٥). وقال الحسن: كانوا يَبْتَدِرُونَ
 إذا طَلَعَتِ الشَّمْسُ إلى نُصْبِهِم التي كانوا يعبدونها من دون الله، لا يلوي أولهم على
 آخرهم^(٦).

﴿يُوفُونَ﴾: يُسْرِعُونَ. والإيفاض: الإسراع. قال الشاعر:

فَوَارِسُ دُبْيَانَ تَحْتَ الْحَدِيدِ بِدِ كَالجِنِّ يُوفِضَنَّ مِنْ عَبْقَرٍ^(٧)

(١) قوله: لعافية، من (م)، ووقع في مطبوع الصحاح: لعاقبة، وفي اللسان (نصب): لعافية، وأشار
 محقق اللسان إلى أنها وردت في نسخة خطية للصحاح: لعافية.

(٢) ديوان الأعشى ص ١٨٧، ورواية الشطر الثاني فيه: ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا.

(٣) قول الأخفش ذكره أبو حيان في البحر المحيط ٣٣٦/٨، وقول الفرّاء ذكره ابن زنجلة في حجة
 القراءات ص ٧٢٥.

(٤) وهو معنى قول ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٦٨، وينظر الصحاح واللسان (نصب).

(٥) تفسير البغوي ٣٩٦/٤.

(٦) أخرجه الطبري ٢٨٧/٢٣، وذكره الواحدي في الوسيط ٣٥٥/٤، والبغوي في تفسيره ٣٩٦/٤ بنحوه.

(٧) ذكره السمين الحلبي في الدر المصون ٤٦٥/١٠، والشوكاني في فتح القدير ٢٩٥/٥.

عَبْرًا: موضعُ ترعُمُ العربِ أَنَّهُ من أرضِ الجنِّ . قال لبيد:

كَهولٌ وشُبَّانٌ كَجِنَّةِ عِبْقَرٍ^(١)

وقال الليث: وَقَضَتِ الإِبِلُ تَفِضُ وَفَضًا؛ وَأَوْفَضَهَا صَاحِبُهَا^(٢). فالإيفاضُ متعدُّ،

والذي في الآية لازم. يقال: وَفَضَ وَأَوْفَضَ واستوفض، بمعنى أسرع^(٣).

قوله تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ ذَلُّكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿خَشِيعَةً أَبْصَرُهُمْ﴾ أي: ذليلةٌ خاضعة، لا يرفعونها لِمَا يتوقعونه من

عذاب الله.

﴿تَرَهِفُهُمْ ذَلَّةٌ﴾ أي: يغشاهم الهوان. قال قتادة: هو سوادُ الوجوه. والرَّهَقُ:

الغشيان، ومنه غلامٌ مراهقٌ: إذا غشي الاحتلام. رَهَقَهُ - بالكسر - يَرْهَقُهُ رَهَقًا، أي:

غَشِيَهُ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ﴾ [يونس: ٢٦] ^(٤).

﴿ذَلُّكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ﴾ أي: يوعدونه في الدنيا أن لهم فيه العذاب. وأخرج

الخبرَ بلفظ الماضي؛ لأنَّ ما وعدَ اللهُ به يكونُ ولا محالة .

والحمد لله.

(١) ديوانه ص ٥٤ . صدره : ومن فاد من إخوانهم وبنينهم، والكلام في الصحاح (عبر). .

(٢) تهذيب اللغة ١٢/٨٢ .

(٣) الصحاح (وفض).

(٤) الصحاح (رهق).